جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم التاريخ

مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة

منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية

رسالة مقدمة من

سليمان عبد الغني مالكي

لنيل درجة الماجستير

باشراف

الأستاذ الدكتور / أحمد السيد محمدين

أستاذ التاريخ الإسلامي - بكلية الآداب - جامعة القاهرة

١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م

المقدمة

حمدا لمن جعل مكة افئدة المؤمنين ، تحقيقا لدعوة ابراهيم ، وشرفها بمبعث خاتم المرسلين — صلى الله عليه وسلم — وبعد فهذا البحث يتناول المرافق والخدمات المدنية التى قدمت للحجاج فى الاراضى الاسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة وحتى سقوط الخلافة العباسية فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، وهى حقبة زمنية تمتد ما يقرب من ستمائة وثمانية واربعين عام .

ويرجع اختيارى لهذا الموضوع ، ومحاولتى القاء الضوء على جميع جوانبه المختلفة الى ان اغلب المؤرخين الذين أرخوا للدولة الاسلامية لم يتعرضوا بشئ من التفصيل لتاريخ هذه المرافق والخدمات ، واهميتها بالنسبة للحج والاماكن المقدسة ، فقد اقتصروا على الاشارة لهذا الموضوع اشارات وجيزة فى ثنايا حديثهم عن الامور السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية فى الدولة الاسلامية وندرة الحديث على هذا النحو عن مرافق الحج وخدمات الحجاج فى الاماكن المقدسة جعلنى اجد صعوبة بالغة فى جمع مادتى العلمية ، كما جعلنى التزم الدقة والحذر فى قراءة النصوص القليلة الواردة فى هذه المصادر حتى اتمكن التقاط حقيقة واردة او استخلاص اية حقائق تتصل بهذا الموضوع تكون قد وردت على لسان المؤرخين فى حديثهم عن شتى امور الدولة الاسلامية .

فالباحث فى موضوع خدمات الحجاج ومرافق الحج يجد لزاما عليه ان يسير بتعمق فى اعماق المصادر مستخرجا النصوص ، دارسا اياها

ومتتبعا لها من بدايتها الى نهايتها كي يستطيع ان يعرف النص الصادق فياخذه من بين كثير ركام وطويل كلام ، مبعثر ومشتت ما بين مصادر التاريخ الاسلامي العام ومصادر تاريخ مصر ومصادر تاريخ اليمن .

وفي هذا البحث الشاق وراء المادة العلمية للموضوع كان على ان اتتبع مرافق الحج والخدمات التي كانت تقدم الى الحجاج وكذلك العوامل المختلفة التي كانت تدفع الخلفاء وامراء الحج والسلاطين الى العناية بهذه المرافق وتقديم هذه الخدمات للحجاج .

ونظرا لارتباط الموضوع بالحج الى الاماكن المقدسة منذ العصر الجاهلي ، لهذا اضطررت الى تقسيم هذا الموضوع الى اربعة أبواب .

خصصت الباب الاول للحديث عن مكة والمدينة في العصر الجاهلي واهمية هاتين المدينتين اللتين لعبتا دورا هاما في هذه الحقبة الزمنية ، وقد ركزت على أهم الخدمات التي قدمت في العصر الجاهلي في مدينة مكة المكرمة ، وبالذات تنظيمات قصي بن كلاب وأهمها السقاية والرفادة والحجابة . وحيث ان مكة تقع في واد غير ذي زرع ، وليس لها موارد مائية ، لذا اضطررت الى الكتابة عن التكوين الجيولوجي لمكة وأوضحت دور القرشيين وما بذلوه من جهود مكثفة في البحث عن مصادر المياه من أجل امداد انفسهم والحجاج بالماء ، ولما كانوا قد استخدموا جميع المصادر المتاحة في هذا الصدد ساقني الحديث عن الدراسات الحديثة لتوفير المياه في مكة المكرمة ، وبينت ان الدراسات الحديثة لم تأت بشيء جديد عما اتوا به .

ثم تحدثت عن الناحية الاقتصادية ولما لها من أهمية ودور القرشيين في احياء الاسواق المختلفة لتوفير الغذاء لهم

وللحجاج الوافدين الى مكة .

ولأهمية موقع المدينة فانني تحدثت من الناحية الجغرافية لها ، ثم اوضحت الدور الزراعي والاقتصادي الذي قامت به في العصر الجاهلي ، واخيرا تحدثت عن طرق التجارة وتجارة المدينة الداخلية والخارجية .

وفي الباب الثاني تحدثت عن طرق الحج الاربعة : وهي طريق الحج العراقي ، والشامي ، والمصري ، واليمني .

هذا ولم تتحدث المصادر التاريخية المشار اليها آنفا بطريقة مباشرة عن الطرق التي كان يسلكها حجاج الامصار الاسلامية الى مكة والمدينة ، لذلك كان على ان التقط ما يتعلق بوصف هذه الطرق من المصادر الجغرافية لتكتمل لي الصورة عن هذه الطرق وما اقيم بها من مرافق وما تم بها من اصلاحات وما قدم فيها من خدمات للحجاج طوال الحقبة الزمنية المتصلة بالبحث .

ومن المعلوم ان هذه الطرق قد استخدمها العرب في العصر الجاهلي في تجارتهم كما ذكرها شعراؤهم في كثير من المناسبات ، هذا ولم يستجد بشأنها شيء في صدر الاسلام عموما ، كما لم يهتم بها خلفاء الدولة الاموية كبير اهتمام ، لانهم قصروا عنايتهم بالركب الشامي ، الذي كان يخرج من دمشق ، فضلا عن ان انشغالهم بالفتوحات الاسلامية المختلفة وتصديهم لقمع ما كان يقوم به الخوارج والشيعة من ثورات وفتن داخلية قد صرفهم عن العناية بطرق الحج الاخرى .

اما البيت العباسي ، فقد اهتم بتقديم الخدمات للحجاج

فى جميع طرق الحج منذ ان نشأت دولتهم وتتمثل هذه الخدمات فى اصلاح الطرق وحفر الآبار للحجاج وبناء القصور وانشاء محطات للبريد كما حدث فى عهد الخليفة المهدى كى لا يتعرض الحجاج فى طريقهم الى مكة الى اعتداء القبائل التى تمر بها هذه الطرق .

وقد ظل الامن يسيطر على طرق الحج المختلفة حتى سنة ٢٥٠ هـ ، ففى ذلك التاريخ بدأت قبائل العربان الاعتداء على ركبان الحج ، ومن الملاحظ أنه منذ ان بدأت فترة الضعف فى الدولة العباسية فان العباسيين لم يستطيعوا أن يوفروا الأمن للحجاج فى هذه الطرق ، والدليل على ذلك عدم نجاحهم تماما فى القضاء على حركات القرامطة الذين استطاعوا ان يسيطروا على الطريق وان يقوموا بالاعتداء على قوافل الحجاج وقد اصبح حجاج الركب العراقى على وجه التخصيص غير آمنين على انفسهم وعلى متاعهم فى طريقهم الى الحج حتى سقوط الخلافة العباسية . ثم تحدثت عن طريق الركب الشامى وما أقيم فيه من اصلاحات ومحطات للبريد وما وقع فيه من اعتداءات على الحجاج .

ثم تحدثت عن طريق ركب الحجاج المصرى ، وما قدم فيه من خدمات ، وايضا ما وقع فيه من اعتداءات ، ودور خلفاء الدولة الفاطمية فى صد هذه الاعتداءات وما قدموه من اعطيات لسكان الطرق .

ثم تحدثت عن الطريق البحرى وما كان يعانونه الحجاج من صعوبات فيه . وأخيرا تحدثت عن طريق الركب اليمنى وما قدم